التكامل المنهجي في البحوث الكمية.

قد يحتاج الباحث في دراسته لبعض المواضيع، استعمال أكثر من منهج، وهذا طبعا يعود إلى طبيعة الموضوع وإشكاليته. وعليه، يرى البعض أن هذا الإجراء في حد ذاته يعتبر منهجا مستقلا، ويطلقون عليه اسم "المنهج التكاملي".

1- تعريف التكامل المنهجي:

تكامل المناهج، يعني في أبسط معانيه، استعمال أكثر من منهج واحد في دراسة واحدة، حيث تتكامل عدة مناهج فيما بينها لوضع وتطبيق مستلزمات البحث.

2- مثال عن تكامل المناهج في البحوث الكمية:

إذا كانت الدراسة تتطلب العودة بها إلى الماضي، واستطلاع الرأي حولها قصد تحليلها وإثبات المتغيرات فيها، فهذا يعني أن الباحث سيستعين بالمنهج التاريخي والمنهج المسحي في نفس الوقت، المنهج التاريخي لأنه يريد معرفة الظاهرة فيما مضى، والمنهج المسحي لأنه يقوم باستطلاع الرأي حولها باستعمال أداة الاستبيان كتقنية من تقنيات المنهج المسحي.

3- التكامل بين المناهج الكمية والكيفية:

هو أسلوب لجمع وتحليل ومزج كل من البيانات الكمية والبيانات الكيفية، على نحو وحدة تكاملية في دراسة واحدة، لفهم مشكلة من مشكلات البحث، لإعطائنا صورة مركبة وواضحة عن الظاهرة.

1.3- تعريف المنهج الكمي:

تسمى البحوث الكمية بهذا الاسم لأن القائمين عليها حريصون على تحويل الظاهرة المدروسة إلى أرقام ونسب مئوية، وإخضاعها لمعاملات إحصائية، ومعادلات رياضية، لتحقيق القياس كما هو في العلوم المادية.

"مجموعة من الإجراءات لقياس الظواهر"

2.3- تعريف المنهج الكيفي (النوعي):

هي نوع من البحوث العلمية، تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية، يتم بناؤها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركة في البحث.

ويتوجه الباحث في هذا النوع من البحوث عادة نحو عينة مقصودة في جمع البيانات، لتحقيق أهداف البحث، من خلال أدوات فعالة غير محكمة البناء، مثل الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات المعمقة، الوثائق، والسجلات الأولية.

ويكون دور الباحث فيها دورا اجتماعيا متفاعلا، لكنه يعتمد على الذاتية المنضبطة، للابتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفسيرها.

ولا يهدف البحث النوعي عادة إلى تعميم النتائج، بل إلى توسيع نتائج الحالة المبحوثة لاحتمالات الاستفادة منها في مواقف وحالات أخرى.

"مجموعة من الإجراءات لتحديد الظواهر"

4- الفروق بين البحوث الكمية والكيفية:

النقاط الفارقة	المناهج الكمية	المناهج الكيفية

هدف البحث	- تهدف إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين، من خلال بناء علاقات ارتباطية أو سببية. - كذلك تحاول التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة. - كما تهدف إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى.	- هي أكثر اهتماما بفهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم، ومن خلال معايشة الباحث لحياة المشاركين العادية. - ولا تهدف إلى تعميم النتائج، بل تهدف إلى توسيع نتائج الحالة التي كثيرا ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون مشابهة.
منهجية وإجراءات البحث	- تجرى وفق إجراءات وخطوات تتابعية، ومخطط معد إعدادا محكما مسبقا، يسترشد به الباحث.	- فيها قدر كبير من المرونة فيما يتعلق بخطة البحث، فالباحث النوعي يستخدم تصميما طارئا خلال عملية جمع البيانات. - لا تتحدد البحوث الكيفية بفرضية معدة مسبقا، أو تختبر علاقة بين متغيرات تكون معدة مسبقا.
المعاينة	تشمل العينات الاحتمالية في الغالب، بالإضافة إلى غير الاحتمالية، وتكون بعدد مناسب وكبير نوعا ما قياسا بعينات المناهج الكيفية.	تكون مقصودة، وعددها محدود، ويتم اختيار أفرادها بصورة هادفة.
تقنيات جمع البيانات	- تركز على أداة الاستبيان، وكذلك المقابلات أو الملاحظات المبنية بناء محكما. - تكون أسئلة المقابلة فيها نمطية ومعدة مسبقا.	- تستخدم المقابلة المعمقة غير النمطية، و/أو الملاحظة بالمشاركة غير المبنية بناء محكما مسبقا، و/ أو الوثائق الرسمية والشخصية ذات العلاقة. - تختلف طريقة أو أسئلة المقابلة في البحث النوعي بين فرد وآخر من أفراد مجتمع الدراسة، أو عينته.
دور الباحث ومصداقية البحث	- يكون منفصلا عن الدراسة، كي يبتعد عن التحيز. - يجمع البيانات بصورة موضوعية. - يحكم على مصداقيتها من خلال العمليات الإحصائية والمعادلات المستخدمة.	- ينغمس في الدراسة. - ليس لديه ذاتية منضبطة، بل تكون لديه مرونة في التغيير في خطة البحث، وفق مجريات البحث والبيانات المجمعة، أو المطلوب تجميعها. - التأكيد على أهمية البيانات التي يتم جمعها من قبل شخص ماهر، ومن خلال الدور التفاعلي والاجتماعي الذي يشارك فيه. - يحكم على مصداقيتها من خلال قناعة ورأي القارئ. (المتخصصين).

5- أهمية التكامل بين المناهج في دراسة الظواهر الاجتماعية والإنسانية:

يكمن التكامل بين البحوث الكمية والكيفية في تحقيق فهم أشمل وأعمق للظواهر المعقدة، حيث يكمل كل منهج نقاط ضعف الآخر.

فالمنهج الكمي يوفر قياسات دقيقة وبيانات رقمية، بينما يضيف المنهج الكيفي تفسيرات معمقة، وسياقا غنيا، وفهما أعمق للدوافع والأسباب الكامنة وراء تلك البيانات.

يساهم هذا التكامل في تقديم نتائج أكثر دقة ومصداقية، وتطوير فرضيات جديدة، واكتشاف مشكلات كامنة، مما يؤدي إلى بناء سيناريوهات مستقبلية أكثر دقة.

ونلخص فوائد التكامل المنهجي في النقاط الآتية:

- **فهم أشمل وأعمق:** يساعد التكامل بين المنهجين في جمع البيانات العددية (الكمي) مع المقابلات والملاحظات (الكيفي) لفهم الظاهرة من جوانب متعددة بدلاً من الاعتماد على جانب واحد.
- **التحقق من صحة النتائج:** يمكن استخدام المنهج الكمي لاختبار الفرضيات التي تم تطويرها من خلال المنهج الكيفي، مما يعزز من موثوقية البحث ويدعم النتائج.
- **تطوير الفرضيات:** يساعد المنهج الكيفي في استكشاف الأفكار الجديدة وتحديد المتغيرات التي قد تكون ذات أهمية، مما يساهم في تطوير فرضيات قوية للدراسات الكمية المستقبلية.
- **اكتشاف مشكلات جديدة:** يمكن أن يكشف المنهج الكيفي عن مشكلات غير متوقعة في الظاهرة المدروسة لم يكن من الممكن اكتشافها باستخدام المنهج الكمي وحده.
- **تفسير النتائج الكمية:** يقدم المنهج الكيفي التفسيرات العميقة للمعطيات الرقمية التي يجمعها المنهج الكمي، حيث يوضح "لماذا" و"كيف" تحدث الظواهر بدلا من مجرد وصفها.
- **حل أزمات البحث العلمي:** يوفر التكامل بين المنهجين مدخلا أقوى وأكثر شمولا لمعالجة الظواهر الاجتماعية المعقدة، مما يساعد في حل الأزمات المنهجية في العلوم الاجتماعية.